صخب يوم جديد

قصة بقلم
الدكتور سمير نصير

سمعت ضجة اقدام تنزلق على البلاط . افقت وكان ذلك حدث برفة فراشة . كان أفق عريض من زرقة مخنوقة يملأ فراغ النافذة . تطلعت الى ماجد . شعاع رمادي ينسكب على وجهه ويداه الى جانبيه والنور يبهت ويزحف الى ردائه (أنا راحل الى مدينة بيضاء حالمة ربيع لذة ودفء ساسير مع آلهة فتية عبر سهوب شديدة الخضرة تمتد الى أرض لم تولد بعد تفمرها ظلال شمس حنون وصفرة رائعة وحمائم تخفق اجنحتها برقة . انا راحل) خفيف الاقدام يتعالى . الزرقة رمادية باهتة . وانا انصت الى نبض أقدام تنتقل بخفة وحمائم تطير بلا صوت .

اخواتي يتاهبن للذهاب الى مدارسهن . وماجد يمتلكه نوم يحتضنه بعنف . الاقدام الصغيرة ستتعب اليوم ، فماجد وسيارته يقوصان في قرارة دفء لا مجال فيها لاية حركة . واليوم لا يبدو كغيره من الايام . الحمائم تطير بلا صوت وسط رماد ساطع شفاف تمر خلاله أشرطة بيضاء لا تلبث أن تتبدد بسرعة . واليوم لم تات حنان الصغيرة كعادتها . كانت عادتها أن تقلب البيت راسا على عقب في سبيل التفتيش عن أغراضها المتناثرة في جميع الغرف . فحنان البالغة من العمر عشر سنوات تصر دائما على الذهاب الى المدرسة وهي باكمل زينتها وكانها عروس ذاهبة الى الاحتفال . وهي تصر على اقفال راحتي دون سبب ظاهر . لكان هناك عداء خفيا استحكم بيني وبينها كسر مذهل مجهول . فهي ترصدني كل يوم كي تزعجني (أنا راحل راحل) انها تطل كل يوم من فرجة الباب وهي تتمتم بلثغتها الحبيبة :

ـ وائل .. الم تفق بعد ؟
ـ لا يا ست الملوك . لم أفق بعد . الا تتركيني قليلا انام ؟
ـ نم ومن الذي يمسكك .
ـ ولكن قولي .. كم الساعة الآن ؟
ـ سبعة وعشرة .
ـ هل انت متاكدة ؟
ـ نعم ..
ـ انظري جيدا .

حنان الصغيرة تفتح الباب نصف فتحة . أحست بغريزة الطفولة وبراءتها ان غضبي قد زال . تنظر الى ساعة المشى المعلقة على الحائط . ولكن الساعة واقفة على الواحدة والنصف (أنا راحل راحل سارحل الى مدينة دفء وعبير حيث الساعات دوما واقفة ، حيث لا ساعات تحصي الزمن وتشير اليه حيث لا نهار ولا ليل بل ظلال منسكبة من خلال نور يسطع ، أنا راحل) .

ـ وائل .. الساعة واحدة ونصف .
ـ يا شيطانة .

كعصفور دوري تهرب وهي تضحك وتاخذ وضع الجد (الزرقة تسطع والاصداء كنقط عطر تقترب ، دعها دعها انك تكاد) تجلس الى التلفون وتضرب الرقم ١٤ . يتناهى الي صوت الهاتف خافتا مجهدا كانه آت من الدنيا الثانية : الساعة الآن السابعة والدقيقة الخامسة والثانية الخمسون . عند ذاك اعرف انه لم يعد هناك اي مجال للتاخر .

ان ساعة القيام لمواجهة شمس جديدة محرقة قد حانت . (تاخرت تاخرت الشمس طلعت وانت تتاخر العصافير زقزقت واطمست صغارها فضة الصباح تقبل شعر جارتنا العجوز وشالها المرخي على اكتافها وانت تتاخر تتاخر) اليوم غير الايام (اتركها اتركها انك تكاد تكاد) اليوم غير الايام . الضجة التي تثار في البيت ابتداء من الساعة السادسة والنصف صباحا حتى الساعة العاشرة ليلا هي ضجة خافتة محتملة اليوم، بل هادئة ولذيذة. فاغمضت عيني من جديد ورفعت الغطاء فوق راسي . (الزرقة تتلاشى) ظلام احمر رقيق احتضنني . اغوص في لذة يملأها سواد ساكن ، وصفرة ساطعة (الزرقة تتلاشى كستار) هل يجب الذهاب ؟ امواج حنان تسطع من زرقة حنون تطوقني . لهب شمعة أصفر يرعش قلبي . احس بارتجاف يستولي عليّ (ارى في عينيك دوما اسرابا من العصافير ورعشة آلهة ترجف سطح امواج مقدسة كرعشة القمر على النهر احس يديك) هل يجب الذهاب ؟ ماجد لا يفيق والعصفور المعلق في قفصه في المطبخ يثقب السكون بصوته الرتيب ويعلن موعد ولادة صخب يوم جديد . الاجنحة الخافقة تضرب الرماد الاملس باجنحة النور فتتكسر الخيوط من حولها . (احس يديك انا راحل الى مدينة حب وازهار) ربما يجب الذهاب . (انت تتاخر تتاخر ليحل عليك الموت الا ترحمني لم انم انا امك وانت تتاخر اين كنت ايها المتشرد كانك ولدت ونشات في الازقة ارحمني يا رب) هل يجب الذهاب ؟ ربما لامر ذي شان يستولي عليّ وعلى اعصابي ويشدها بخيوط حريرية لا تنقطع ابدا ، لا رهبة وخوفا من الرجل الطويل العريض ذي النظرات الصارمة التي تعتبر كل الطلاب ممن تعدوا السادسة عشرة متمردين يجب القضاء على تمردهم باية طريقة (انت تتاخر تتاخر سافل ومنحط امش من وجهي لا اراني الله وجها كوجوهكم)

« نظرات الرجل الطويل العريض تفصح عن كراهية مغلقة مسدودة الابواب والنوافذ » ولكن طريقه سهل وغير متعب بل في احيان كثيرة ملذ ومسل . اذ من لا يحب ان يتكلم بهذا الشكل .

ـ لماذا تاخرت ؟
ـ انقطع الاوتوبيس في الطريق ، وكان الزحام شديدا .
ـ ألا تعرف ان المدرسة تبدا في الثامنة الا ربعا ؟
ـ اعرف .
ـ ما دمت تعرف هذا فلماذا تاخرت ؟
ـ نظمت وقتي وقد أفقت باكرا ، ولكن الاوتوبيس انقطع في الطريق بسبب ازدحام السيارات .
ـ لا أعرف هذا ولا افهمه . هذه ثاني مرة تتاخر فيها عن المدرسة . ثاني مرة في هذا الشهر . تفضل الى صفك .

(أنا راحل راحل) نظرات الرجل الطويل العريض نظرات تنغرس في القلب بلؤم . احس وخزها في صدري ولا ارى لها سببا (الزرقة تسطع متلالئة) عندما رفعت الغطاء كانت الزرقة قد

تلألأت والرماد يتلاشى والضوء ينبثق من السماء كذراع امرأة عارية (الايام السود تطرق الابواب والازهار تشتعل وتحترق وليس لنا من احد ليس لنا الا) .

(ألم تفق بعد ؟ تعالي يا حبيبة قلبه اجعليه يفتح عينيه ، فقد سهر كثيرا وهو يحلم بك) يا لك من خبيثة يا سعاد (تعالي يا نهاد ، ألا ترينه يغمض عينيه نصف اغماضة وهو ينام كالغزلان ؟ انه يحلم لا تقطعي عليه صفاء نومه ، ألا يستطيع الانسان في هذا البيت أن يحصل على الراحة حتى وهو غارق في لجة النوم) الصراخ ساكت خامد منهك متعب مخفوق كأن سهما أصاب أوتار حنجرته فاسكتها الى الابد . « اجعلوه يفيق ، ان الدروس ستبدأ وهو يضيع وقته ، اجعلوه يفيق ليفق » . صوت أبي لم أسمعه اليوم ، وحنان لم تطل بعد ولثغتها الحبيبة لم أسمع رنتها وزرقة العينين لم تسطع ولم تتلألأ ، واليدان الكريمتان لم تقدما بعد قدح القهوة والصباح يستعر ويشتعل (اللعنة ترقد ، الورود كانت حمراء كانت تلقى على الطرق ، أذرعة التفت على جسد طري ، عينان عسليتان حبيبتان تنطبقان على نوم عميق ، ذراع أشرقت كنبع ضوء ، أنا راحل راحل الى مدينة حب وأزهار) .

« اجعلوه يفيق » أصعد الدرجات بسرعة بالغة . وانا احمل بيدي ثلاثة كتب ودوسيه صغيرة . افتح الباب ببطء . لقد تأخرت . حسنا فلتكن الخطوات خائفة ومنزلقة ، حتى لا يعلو صراخ حاقد . ان الرؤوس تتطاول . أسمع صوت معلم الادب الانكليزي وهو يعيد تلاوة نكتته التي يرددها عشرات المرات . الخطوات المنزلقة لم تجد فائدة . الصراخ لم يرتفع . عينان ملصقتان بنظارات بيضاء تنطقان مع شفاه تتمطى بنكتة سخيفة مكررة معادة :

ـ اذا كنت آتيا الى درس اليوم ، فانت جد متأخر . واذا كنت آتيا الى درس الغد فانت جد مبكر .

تتضاحك الرؤوس المتطاولة . الاستاذ يعاود استئناف درسه بعد ان القى برائعته . أتلمس خطاي الى مقعدي واتهالك عليه ، تستقبلني نظرة رياض الحانية . أضع كتبي في الدرج . وأنظر الى الرجل الطويل ذي النظارات البيضاء ، وشفاهه لا تزالان كناثورة تبع ترمي بكلمات كطلقات مدفع رشاش أو كضربات مطرقة حداد . « موضوع عن شكسبير » . هذا ما خطته يداه على السبورة الخضراء . رنين جرس كهربائي يسيل . فيعلو معه صخب ضاحك وباب يفتح تتدافع اليه أرجل كثيرة » .

لهب الشمعة يرمي الي بدفء . اشراقة زرقة تغيب . ظلال تمتلك فضاء غرفة فيها سريران . ويدي ترتفع الى جبيني . عيناي لا تفارقان الزرقة . الزرقة تبهت . الظلال هائمة في الغرفة ذات السريرين . يداي تنحدران الى دفء الفراش . اللثغة الحبيبة لم أسمعها بعد . قدح القهوة لم أر بعد بخاره . أنا وحيد وسط دفء طويل . « ماذا .. ماذا فعل ؟ كلب وحقير . انه أجبن من عاهرة . هل يفعل هذا ؟ أين كنت ؟ رأيتك ، لا تكذب . ما أثقل دمه معلم الكيمياء هذا لا ينهضم ولو بشربة كاملة ، ومعلم الفرنسي تعلم في باريس فاصبح فرنسيا وأصبحت أعصابه تثور . أنتم المسؤولون رياضيات لم نفهمها ، يجب عرض الامر على المدير . رأيتك وأنت تفش . وحياتك كانت نظرية الرياضيات في جيبي فقط وقدمتها كما هي مع بعض التغيير . هذه هي المرة الاولى . الرياضيات الفراغية تسقط في الفراغ ولا تسقط أبدا في العقل . كم يعطيك والدك خرجية؟ هات سيكارة . ولكن التدخين ممنوع . في المرحاض متسع للجميع . ماذا ؟ اعلنت خطوبة استاذ الفرنسي . من الاستاذ الابله ؟ ألم تسمعوا صالح ؟ ربح نصف ورقة يانصيب . مائة ليرة كاملة . هل رأيته اليوم في الصف . ألم أقل لك ؟ اليوم يشم الهواء ويدخن ويشرب . ألم أقل لكم ؟ العاهرات لا يجلب النوم معهن أية لذة . ألم تسمع بآخر الاخبار ؟ آخر الاخبار ظهري يؤلمني كثيرا من الدروس البارحة » .

« حين تتفرق الارجل من الباب المفتوح تنفتح شفاه في باحة ملصقة بجدار طويل تتناثر خلاله اشجار صنوبر كثيرة تمتد خضرتها الى زرقة سماء لا نهاية لها . الاخبار تتبادلها شفاه لا تكف ابدا عن الهذر . رياض يبقى بجانبي ، وان لم اره أبقى وحيدا أتناول سندويشا من اللحم . ابتعد اقضمه على مهل ، وانا أشعر بلذة بالغة ، ودفء الشمس يرمي على الملعب اشراقة طباشيرية والحرارة تتسلل الى جسدي فاشعر ان ساقيّ قد تخلصتا من البرودة واصبحتا اكثر ليونة. أسير وأبتعد الى ان يدق الجرس الكهربائي مرة ثانية ولا أشعر الا ورنينه يملأ كل مكان ، فاسير واصعد الدرجات الى الصف وكان ذلك يحدث بصورة اوتوماتيكية » .

(أين كنت ؟ أين كنت قل لي ؟ ألم تشم رائحتك ؟ رائحتك كريهة . الخمر يتصاعد من فمك ، تعال شم يا أبوه ، يا أبوه تعال اليه وخلصه من الذين أفسدوه . أنا لا أستطيع أن أتحمل اكثر . لقد تعبت منك أنا أمك . ليأخذك الموت ، ألا تستطيع الرد ؟ أسكتي اذا لم تسكتي سأذهب) ظل الشمس ينحدر الى عينيّ . أنا معلق بالنافذة . عيناي تلتهمان زرقة أوشكت أن تذوب . الغرفة تغوص في ظلام رمادي ما عدا النافذة . الباب لا يزال مغلقا وحنان لم تطل . الكلمات الصاخبة لم تلمع . الحناجر خائفة مخنوقة . الظل يهمس . النافذة مضيئة . كنت أسمع النور يهمس ويتكلم . كنت أمام النافذة. أوراق الدالية تهتز مع ريح ضعيفة . كنت أستطيع أن أسمع الاوراق . الحمائم تطير على البعد بلا صوت (كنت أستطيع أن أسمع خطوات ماجد وهي تعبر بسرعة) سمعت القاعة تنتفض بضجيج وصراخ وكلام وهمس ووشوشات . كان الرجل الضخم يواجه ظروفا شاقة . السؤال ألقي كلعبة نارية ، انفجرت ودارت كأخطبوط طويل له ألف ذراع . الحياة .. لماذا نعيش ، قل لنا لماذا نعيش لماذا نموت ؟ نعيش ، نريد أن نعيش ، لماذا نحب نكره نؤمن نكفر نسعد نشقى نشقى ؟ هل نذهب الى هناك ؟ من يذهب الى هناك يذهب الى جهنم . الجلد والنار يتربصان بالمذنبين الذين أفلتوا اليوم ولكن لن يفلتوا بعد اليوم . ولكن السماء تغفر . لن تغفر للذين تلوثت قلوبهم . لا .. لا ليس صحيحا . ما هو الصحيح ؟ اللعبة لم تنجح . السيوف الحادة التي ظن الشبان انهم سيحاصرون بها المعلم الضخم أصبحت سكاكين صغيرة انغرست في قلوبهم هم . وهكذا تعالت ضجة وضحكات ونداءات ، وضوء كأنه الهواء تصاعد مع سرور خفيف ضاحك ، عندما انهار الصمت ودق الجرس الكهربائي . كان الضوء يرقص والاقدام تركض » .

الزرقة في النافذة . النافذة مضيئة . كنت أمام النافذة . الهواء يتكلم . الصمت يهمس بخطوات عنيفة . هل يجب الذهاب ؟ العصفور لم يكف عن صراخه . كان تائها وجائعا . انه يصرخ عندما يكون وحيدا . حنان لم تطعمه بعد . لم تطعمه من كلماتها . لم تقدم له يديها الصغيرتين قطع الخبز المغموسة بالماء . قطع صغيرة صغيرة . حنان لم تطل بعد . الحمائم تطير بلا صوت والغرفة صامتة الا من همس الظلال . ماجد يغوص في دفء طويل . النار عن بعد تغذي يلقى اليها بالقش . والنافذة ، النافذة مضيئة . أضاءت الاوراق عن بعد. الشمس أضاءت الاوراق . كنت ملقى في السرير . أدرت ظهري وغبت في ظلمة طويلة .

في الطريق وراء الفناء صعدت عصافير الى أغصان ملتفة بالاوراق . راقبت أقدام أطفال صغار تركض بسرعة . عيناي تعلقتا بالنافذة . كنت أمام النافذة . العصافير لم تهرب بعد . هل يجب الذهاب ؟ (ماجد ، حبيبي ، يدك لا تزال مصبوغة بالدم . النافذة كانت قد أظلمت ، النافذة سوداء) ماجد يتقلب في فراشه . رائحته تصل الي . رائحة عرق وهواء تنفساه مائة مرة . اختلطت أنفاسنا مئات المرات . اننا نتنفس الهواء . الهواء الذي يختلط بالعرق والتعب .

« القاعة تضج في أذني من جديد (صف سهرة امام الموقد)

الام تخيط الانواب . الاولاد جالسون ينحنون على كتبهم . الاب منصرف الى قراءة الجريدة . (أين أبي ؟ أبي لم يعد بعد) الحياة في الجبال . الراعي يسير وراء قطيعه . شبابته فتية . يعود الى كوخه (النار في المدفأة تضيء الوجه ، الدفء طويل) لحظات الدفء لذيذة . الدالية تتسلق جدار المنزل الجبلي . الساقية تسقسق بالحانها . الاعياد تأتي وتقبل . الاثواب ملونة وبهيجة . (عندما سمعت المعلم يهدد بعصاه كانت أحلام حياة هنيئة قد تبخرت بسرعة) » .

الضجة تحولت وشوشات وأحاديث لا تنتهي . حنان لم تطل بعد . « طوفت أمس في أرجاء حديقة مدرستنا التي أحاطتها أشجار الصنوبر وعلت خضرتها الى السماء . « رياض » لم ألقه . اصطدمت بأيدي كثيرة . تعلق بي صغار . كانوا يسألون وينادون . (الظلمة زحفت بسرعة وامتلكت السماء عندما اختفت النقاط الحمراء من عينيها صبغت يد ماجد بدم لم يكن يكف قط) الكآبة كانت تطبق عليّ . تتجمد قطعة ثلج قاسية في صدري (هل يجب الذهاب ؟) كنت أشاهده دوما وحيدا يستند الى حافة الافريز . رنين الجرس الكهربائي يكاد ينفلت من صمته ، مستعيدا الطلاب الى الدخول والتعلب في الصفوف ، فهياج الصغار قد شارف نهايته ، والعابهم اصبحت اكثر عنفا . الصرخات تثقب الجو . الجرس يوشك أن يدق . كنت أعرف ذلك واحسه ، لكن رياض لم يطل بعد » .

هل تطل حنان ؟ العيون المتألقة بغضب يتأجج كل لحظة بصراخ حاقد كانت كنار هامدة ألقيت عليها الماء . العيون تنطبق . عينا ماجد تنطبقان مع نوم يحتضن بعنف جسدا كان قد أتعبه الليل .. (تعالي يا حبيبة قلبه تعالي ، قلبه يكاد يطير اليك ، ليتك تعرفين) .

« كآبة سوداء تعاود كرتها . يأخذني القلق الراعش الممض بأمواجه الرقيقة التي تشبه الغيمات التي تحاول أن تتخلص من أشعة الشمس كيلا تذوب . كنت أحس اني لا أتعلق بالحياة الا بأسباب واهية ، ان خيوطا كثيرة ستنقطع اذا فقدته . وهو لم يطل بعد . كل شيء يبدو غريبا حتى عصافير الدوري التي تتطاير مجلجلة من صنوبرة الى اخرى . خيل اليّ حينذاك ان سمفونيتها المعتادة مشوشة وفاقدة لكل حيويتها . كنت لا أسمعها وكنت غافلا عنها . الصغار يقفون في صفوفهم والمعلمون يعيدون تنظيمهم . الجرس يرن كآهة طويلة طويلة . ارتعش كورقة عشب تعبث بها ريح مجنونة . اتلفت ورائي . لكم استطال قلقي . الجرس يكف عن رنينه . في اللحظة بعد اللحظة كان ظل رياض يجتاز الساحة ، التي ماتت الضجة فيها ، وأخمدت كل حركة . ولم تبق الا الطيور التي اتخذت سمفونيتها المعتادة صوتها في أذني . القلق الراعش في صدري حللته أشعة الشمس التي غمرت الساحة بدفئها . أشعر بالشيء الذي كاد ينهار في قلبي يعاود صعوده في صدري ويتجمع كله في يدي التي أطبقت على يد رياض كأنها شدت اليها بخيوط غير مرئية » .

العصفور المعلق في قفصه في المطبخ يجار بنداءاته واستغاثاته . لم أسمع صوته من قبل يرن بألم مبرح كما يفعل هذه اللحظة . انه ينادي حنان الصغيرة وهي عنه مشغولة رغم طفولتها بشيء بدأ يأخذ طريقه كضوء حي (أنا راحل الى مدينة حب وأزهار ، ساترك مدينة تكاد القبور فيها تفتح لتغيب في جوفها عشرات من أجساد نضرة لم تعرف أعينها بعد سماء حياة عريضة . السكين كانت لا تزال تشحذ والضوء كشيء حي ينبض كعصفور امسكته يد صغيرة . الايام السود تطرق الابواب والازهار تشتعل وتحترق وليس لنا من أحد ، ليس لنا الا) لهب شمعة لا يزال يخفق عبر نافذة أضاء فضتها قمر أحمر تسلل من بين سحب سوداء . البيت ينهار مع صمت امتلك زرقة مصلوبة . هل يجب الذهاب ؟

(كنت استطيع ان اسمع الاصداء تعلو عندما تبدأ الظلمة في القاء ظلالها ، عندما كان الصدى يرجع الخطوات السريعة كان مع الليل ينمو النحيب) .

أنا لا أسمع أي شيء الا الاوراق الخضراء والريح . كنت غائلا عن الساعة التي تثرثر بتكتكتها في الممشى . الزرقة في النافذة بعيدة عن عيني . الزرقة كانت أما حنونا لم تقدم يداها قدح قهوة كنت ارشفه كل يوم . العيون السود المتألقة كانت تسير الى الشرفة كأنها تركض الى حومة معركة فظيعة . اليدان كانتا خاليتين من خضرة أعشاب وفاكهة . كانت سعاد تهمس في الممشى ، تخرج الكلمات من فمها كأوراق زنبق تتفتح مع صباح كان يمسح عن وجهه الغبار . سعاد لم تلق بعد جملتها كل يوم « تعالي اليه يا حبيبة قلبه » وماجد تسيطر عليه ملكة النوم ودفء راحة وأحلام ليلة مسهدة (هل يجب الذهاب ؟) . في الصمت كان صوت سيارة يشق السكون الخامد وحيدا عاريا . (السيارة كانت تترصد عند المنعطف . عندما خطونا من المدرسة كانت السيارة قد صرخت ووقفت . شعرت بيد تربت على كتفي) هل يجب الذهاب ؟

« الضجة تعود ...

ـ درس في الرياضيات . المثلث الفراغي .

الخبر استقبل بلا مبالاة تامة . ظلت الكلمة من فم المعلم تحوم في الهواء وتتارجح :

ـ من منكم يعرف كيف يثبت هذه النظرية ؟

الهدوء يتعكر قليلا . ينساب مع الرؤوس التي تطاولت . العيون ترقب العيون . تتحول الى الطاولات والى السبورة الخضراء ، الى الجدران والنوافذ ، الى السقف ، تستقر اخيرا على وجه المعلم . الحيرة تمتلك الوجوه . انه ليس هناك . ان المثلث الفراغي ليس في الصف . كان مثل اسمه معلقا في الهواء ، ينتظر واحدا من الاذكياء كي ينتزعه من سمائه ، ويرسمه على السبورة ثم يقطعه تشريحا . كان معلقا في الهواء ، مثلما تعلقت عينا الاستاذ بتلامذته النجباء في الرياضيات . ورفع واحد اصبعه . اليكم هذا . هذا هو أخيرا . انه يعرف . ان ذلك محتمل ، فهو يعيد صفه ، ولكن يده تنهار من تلقاء نفسها . هل هناك قوة تشل أيديهم وتشل ادمغتهم عن التفكير فيتبخر الذكاء ويهدم أمل الاستاذ في تلاميذه ؟

المثلث الفراغي لم يكن لاحد أن يتقبله . ففي الليلة الماضية اخترقت ثلاثة نجوم قلب انسان في مدينة بدأت تجوع الى لحوم أبنائها . كانت النجوم قد وصلت الى القلب فانفجرت فيه وصلبته في أرض الشارع . ثم هربت النجوم من الجسد الذي احتضن الارض ، وتعلقت بالسماء لتضيء الغضب الذي ساد ، واجتمع في عناقيد كثيرة أخذت تفرز شرابها وترضعه أبناء المدينة التي أخذت تعطش لدم حار والى فوهات قبور أعدت لالتهام أجساد فتية . (هل سأرحل الى مدينة الحلم ؟) كان الوجوم يحتل كل الوجوه . ها هو يلقي ظلاله على وجه الاستاذ النشيط فيسير متمهلا الى مقعده أمام الطاولة ويغلق دفتره وتخرج من فمه كلمات منسابة : لنتكلم فيما هو أجدى » .

(الايام السود تقبل باقمارها . ليس لنا يا حبة القلب الا ان نرى الازهار تحترق وتشتعل . ليس لنا من أحد ، ليس لنا الا مدينة واحدة ، ليس لنا الا أن نفتديها) .

الصمت يتحطم . الزرقة تسطع متلألئة . الزرقة كانت أما حنونا كنت احس يديها على وجهي . حنان كانت تطل كشمس خجولة . سعاد كانت كلمات رقة وعذوبة ، ونهاد كانت تحيطني بعينين يضيع فيهما نداء . كنت أستقبل بيدي قدح القهوة أضعه على الطاولة وأحضن حنان .

الصمت يتحطم . أنهاره تجري أحاديث وهمسات .

وكان لا بد من الذهاب لمواجهة شمس يوم تبدو غير الايام .